ظاهرة التغريب وأثرها على هوية التصوير المعاصر بدولة الكويت.

مقال بحثى
كامل

* هبة إبراهيم محمد الدريهم
* أستاذ الرسم والتصوير المساعد بقسم التربية الفنية، كلية التربية الأساسية، جامعة الكويت.
البريد الإليكتروني:art.touch@hotmail.com

تاريخ المقال:

- **تاريخ تسليم البحث الكامل للمجلة: 15 إبريل 2023**
- **تاريخ القرار الأول لهيئة التحرير: 27 إبريل 2023**
- **تاريخ تسليم النسخة المنقحة: 16 مايو 2023**
- **تاريخ موافقة هيئة التحرير على النشر: 27 مايو 2023**

الملخص:

تعد قضية التغريب من القضايا ذات الأولوية الكبرى بالوطن العربي، فهو تيار فكري ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبغ حياة العرب بالأسلوب الغربي وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية .....، مما سبق يمكن ان تتلخص مشكلة البحث في التساؤل التالي: هل يمكن رصد ظاهرة التغريب بأعمال التصوير الكويتي وهل أثرت على هوية التصوير المعاصر بدولة الكويت؟ كما يهدف البحث إلى الكشف عن مظاهر التغريب في بعض الأعمال التصويرية ومدى انعكاسها على هوية التصوير التشكيلي المعاصر بدولة الكويت، وتناول البحث في إطاره النظري تعريف مصطلح التغريب والهوية، وظاهرة التغريب ومظاهرها ووسائلها وسبل مواجهتها ومظاهر التغريب الثقافي وأهم ملامح الهوية الثقافية ومقومات الهوية الكويتية، كما قام البحث على اتباع المنهج الوصفي والتحليلي من خلال تحليل نماذج لبعض أعمال التصوير التشكيلي الكويتي يتضح بها مدى تأثر الفنان بالغرب، ونماذج لبعض أعمال التصوير التشكيلي الكويتي يتضح بها مدى تمسك الفنان الكويتي بالتراث وتؤكد حرصه على الاحتفاظ بالهوية، وتشير نتائج هذا البحث إلى تأثر الهوية الكويتية في أعمال التصوير التشكيلي المعاصر بالثقافة الفنية الغربية.

الكلمات المفتاحية: *ظاهرة التغريب، الهوية، التصوير التشكيلي.*

مقدمة:

تعد قضية التغريب من القضايا ذات الأولوية الكبرى بالوطن العربي، فما أحدثته التكنولوجيا من تطور في وسائل الاتصال جعل من العالم قرية صغيرة يخضع فيها الفرد لتطورات مذهلة في شتى مجالات الحياة، متأثرا بما يجرى من أحداث محلية أو وطنية أو عالمية، يكون لها من التأثير ما يجعل الفرد يعيش ويوجه سلوكياته ومسارات تفكيره في اتجاهات معينة قد تتجه في بعضها نحو التغريب والتأثر الواضح بالتيار الغربي، والذى يحمل في طياته بعض التيارات الفكرية والثقافية الدخيلة على مجتمعنا الشرقي، والتي قد تمثل أخطار تهدد ثقافة الشعوب العربية وتطمس هويتهم الثقافية، فالمجتمع في سعيه لتربية أفراده يتجه الى بنائهم على نحو معين، بحيث يشتمل هذا البناء على معارف واتجاهات ومهارات واساليب تفكير، تجعل هؤلاء الأفراد قادرين على الانتقاء، بما يضمن تأكيد وتنمية هويتهم الثقافية بأبعادها المختلفة، تلك الركيزة الأساسية للمشاركة الإيجابية والفعالة في التنمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

فالمجتمع ما هو إلا شبكة معقدة جدا من العلاقات والمكونات والمتغيرات التي تتفاعل في إطار فكرى وسلوكي لعدد كبير من الجماعات الصغيرة المترابطة والمتشابكة، و"الثقافة هي الذاكرة الجمعية لأي مجتمع من المجتمعات، وهي تشكل قيم هذا المجتمع والسلوكيات المرتبطة بالأدوار المختلفة فيه، فهي أساس هوية المجتمع وانتمائه، وتميزه عن غيره من المجتمعات". (زينب علي، 2013، ص. 12)

يحتل الفن مكانة كبيرة في حياة الفرد والمجتمع، فالفن ظاهرة اجتماعية حيث "أن وجود الفن يرتبط دائما بالظروف الاجتماعية ويتطور وفقا لقوانينه، ويؤكد التاريخ الاجتماعي للفن إن الأشكال الفنية لا تنشا عن وعى فردى فقط، وإنما هي أيضا تعبير عن نظرة يحددها المجتمع تجاه العالم، وهكذا يخضع الفن لأيدولوجيات خاصة تقوم على أسس اجتماعية، وتكشف عن نظرة خاصة تجاه العالم، والأثير الثقافي والفكري للفن يتضح في إمكانية تجسيد الفن لأفكار محددة أخلاقية أو فلسفية، مرتبطة بالحياة الواقعية، وفى شكل صور فنية من شأنها التأثير على انفعالاته وأحاسيسه ونفسيته، فالأعمال الفنية ذات المضامين الايديولوجية كانت دائما تعبر عن قناعات ومواقف معينة، والفن ذاته هو مرآة للثقافة، وأحد دعامتها". (محسن عطية، د.ت، ص. 13)

وتتفق الباحثة مع ما سبق حيث ان هذا الانفتاح على العالم أصبح له دور كبير في تشكيل الأثير الثقافي والفكري المصاحب لتجسيد الفن بشكل عام ولوحة التصوير بشكل خاص لتصبح مرتبطة بالحياة الواقعية، "فليس الفنان إلا عضوا في المجتمع يحس به وبمشاكله ويتأثر بمختلف عوامل الحياة والبيئة، فلا غرابة إذا كان عمله موجها إليه، وهنا يبدو دوره الحقيقي". (محمد عزيز نظمي، د.ت، ص. 5)

فبالنظر الى نتاج الفنانين المعاصرين من الشباب في معظم الشعوب العربية ولاسيما في دولة الكويت باعتبارها جزء لا يتجزأ من الوطن العربي، نجد انه في العديد من صالات العرض المتاحة الآن والكم الهائل من الأعمال الفنية المعروضة، فإن الغالب هو التكرار الممل والاستنساخ غير الواعي، الناتج عن التغريب والاستسهال والسطحية والتأصيل لها ومحاولة الدفع تجاه هدف واضح هو التبعية الكاملة للحضارة الغربية.

لذلك كانت النتيجة اتساع المسافة بين المبدع والمتلقي وانقطاع التواصل بينهما، وبرغم الضبابية الموجودة الآن إلا انه من خلال الصحوة لتأصيل الهوية العربية سوف تظهر حركات فنية جديدة توجه رؤاها نحو الجذور والتاريخ.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في التساؤل التالي:

- هل يمكن رصد ظاهرة التغريب بأعمال التصوير الكويتي وهل أثرت على هوية التصوير المعاصر بدولة الكويت؟

فرض البحث:

- يفترض البحث تأثر هوية التصوير التشكيلي المعاصر بدولة الكويت بالفن الغربي.

هدف البحث:

- الكشف عن مظاهر التغريب في بعض الأعمال التصويرية ومدى انعكاسها على هوية التصوير التشكيلي المعاصر بدولة الكويت.

أهمية البحث:

1. التعرف على مظاهر التغريب ومدى تأثر لوحات التصوير التشكيلي به.
1. إلقاء الضوء على أثر ثقافة المجتمع على التصوير الكويتي المعاصر.
2. لفت النظر إلى السمات الشكلية التي ميزت أعمال المصورين الكويتيين في الفترة الحالية.
3. توضيح خطورة الغزو الفكري عامة، والتغريب خاصة على الثقافات الفنية التشكيلية وطمس الهوية.

4. توضيح خطورة تيار التغريب على الأجيال الناشئة وأهمية مواجهته حفاظًا وتأصيلًا للهوية الكويتية.
5. ندرة الدراسات الثقافية الفنية المتخصصة في موضوع التغريب.

حدود البحث:

- تقتصر حدود البحث على دراسة مظاهر التغريب ومدى تأثر الفنانين الكويتيين في أعمالهم التصويرية.
- دراسة تحليلية لعشرة أعمال للتصوير التشكيلي المعاصر من المعارض العامة للشباب بدولة الكويت في الفترة من 2013 وحتى 2023م.

منهج البحث:

تناول البحث في إطاره النظري تعريف مصطلح التغريب والهوية، كما تناول ظاهرة التغريب ومظاهرها ووسائلها وسبل مواجهتها ومظاهر التغريب الثقافي وأهم ملامح الهوية الثقافية ومقومات الهوية الكويتية، كما يقوم هذا البحث على اتباع المنهج الوصفي والتحليلي من خلال تحليل نماذج لبعض أعمال التصوير التشكيلي الكويتي يتضح بها مدى تأثر الفنان بالغرب، ونماذج لبعض أعمال التصوير التشكيلي الكويتي يتضح بها مدى تمسك الفنان الكويتي بالتراث وتؤكد حرصه على الاحتفاظ بالهوية.

اجراءات اختيار عينة البحث:

استندت الباحثة عند اختيار عينة البحث إلى التقرير الذي رصده المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب عن رواد حركة التصوير المعاصر بدولة الكويت.

مصطلحات البحث:

ظاهرة التغريب: (The phenomenon of alienation) تيار فكري ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبغ حياة العرب بالأسلوب الغربي وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية، كما "يعد التغريب أحد المصادر التي تهدد الهوية الثقافية، حيث إنه وسيلة من وسائل الغزو الثقافي، ونتيجة من نتائج العولمة. فالاغتراب هو اضطراب نفسي يعبر عن اغتراب الذات عن هويتها وبعدها عن الواقع، وانفصالها عن المجتمع، وهو غربة عن النفس وغربة عن المجتمع، وغربة عن البشر". **(زينب على محمد، 2013، ص. 48)**

الهوية: (Identity) لغة، تعني الذات والأصل والانتماء والمرجعية، والمأخوذة من كلمة "هو" أي جوهر الشيء وحقيقته، فهوية الشيء تعني ثوابته ومبادئه (عبيدة صبطي، عادل قايد، 2017، ص. 203) واصطلاحًا هي مجمل السمات والمشتركات التي تميز حضارة أمة عن غيرها(عبد العزيز بن عثمان، 2015، ص. 19).

المحتوى والمضمون الفلسفي:

(اولًا) ظاهرة التغريب:

التغريب من المصطلحات التي أخذت تنتشر في كتابات مثقفينا في الآونة الأخيرة، ويرجع ذلك لما لهذه الظاهرة من تأثير يهدد هويتنا العربية ويسعى الى طمسها، ويستعمل علماء اللغة مصطلح (التغريب) بمعنى واحد وهو التنحية والإقصاء من الوطن. والحق أن ثمة جانبا معنويا للتغريب يفوق الجانب السابق في الخطورة، فالتغريب كما ندركه في الوقت الحاضر، يتخطى حدود اللفظ اللغوي ليعبر عن حالات التعلق والانبهار والإعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الغربية والأخذ بالقيم والنظم وأساليب الحياة الغربية، بحيث يصبح الفرد أو الجماعة أو المجتمع المسلم غربيا في ميوله وعواطفه وعاداته وأساليب حياته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة، ليس هذا فقط بل وينظر إلى الثقافة الغربية بما تشتمل عليه من قيم وأساليب حياة نظرة إعجاب وإكبار.

أي جعل الشرق تابعا للغرب في الثقافة وأساليب العيش وطرق التفكير، ويتخذ التغريب أشكالا مختلفة، لعل أخطرها التغريب الثقافي، لأنه إبدال ثقافي يبتغى إحلال ثقافة أجنبية محلّ الثقافة المحلية الأصلية.

فقد ارتبطت ظاهرة التغريب للعالم العربي بالحركات الاستعمارية التي قامت بها الدول الأوربية لبسط نفوذها على كثير من البلدان واخضاعها لسياستها؛ بذريعة تحضير الأمم المتخلفة وتطويرها والمساهمة في بنائها وتقدمها، على أن يتم تحضيرها وفق الحضارة الغربية؛ من أجل تسهيل عملية إخضاع المسلمين للغرب وخلق جو من الولاء له. "وقد أخذ التغريب شكلاً قانونياً ذلك أن المادة ٢٣ من ميثاق عصبة الأمم المتحدة نص على أنه من واجب الدولة المنتدبة تقديم الخبرة والإرشاد والتدريب في ميدان الإدارة والحكم لأهالي البلدان الواقعة تحت الانتداب. ونتيجة لذلك عمل الأوربيون على شغل مناصب عديدة في إدارات الدول المستعمرة مما ساعد على صبغها بالصبغة الغربية، وما تبع ذلك من آثار مادية ومعنوية". (خلدون حماده، 1985، ص. 70)، ومع الانتصارات العسكرية التي حققتها الدول الاستعمارية في البلدان العربية جعلت المسلمين يتساءلون عن أسباب التفوق العسكري والتقدم الحضاري الذي تميز به الغرب في تلك الفترة، فظهر شعور الإحساس بالخطر وضرورة تعزيز

الجيوش في البلاد العربية، إلا أن ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا بمصاحبة نهضة علمية؛ إذ أن الجيوش الغربية تعتمد على خبرات علمية في الهندسة والعلوم الطبيعية والكيميائية، وترعاها خبرات طبية وبيطرية، لذلك لابد من نقل العلوم الغربية أولا لتحقيق هذا الهدف العسكري. واتخذت عملية النقل طريقين: الأول: إرسال البعثات إلى الدول الأوربية للتعلم، والثاني: استقدام الخبراء والأساتذة الغربيين لنقل خبراتهم العلمية، إلا أنه نتج عن ذلك تسرب بعض الأفكار المادية والنظريات الفلسفية والعناصر الحضارية والثقافية الغربية التي شغلت بعض المفكرين والمثقفين المسلمين واستحوذت على اهتمامهم وتفكيرهم، مما أدى إلى تحول العلاقة مع الغرب من الرغبة في اكتشاف أسرارهم ومعرفة أسباب قوتهم إلى الرغبة في تقليدهم والتأثر بهم والذوبان فيهم، (محمد حسين، 1413، ص. 15 - 18) وبذلك نشأت فكرة التغريب، وأساسها تذويب الشخصية العربية في الشخصية الغربية، بحيث لا ترى إلا بالمنظور الغربي ولا تعجب إلا بما يعجب به الغرب، ولا تعتنق من الأفكار والمناهج إلا ما هو مستورد من الغرب، وتبتعد عن قيمها وعقائدها وأخلاقها المستمدة من الشريعة وتعتنق فكر التغريب (محمد حسين، 1399، ص.ص. 105 - 109)

"والفن ظاهرة حضارية كبرى، لها من الانتشار والاقتباس ما يتحدد بصورة أو بأخرى بالواقع الراهن وينبعث منه، كذلك تتحدد الاختيارات المتاحة للإنسان طبقا للظروف الموضوعية التي تحيط به، والتي يتكون منها المجتمع، ورصيد المعرفة العلمية المتوافرة عن القوانين التي تتحكم في الظواهر الإنسانية والاجتماعية والبيئية، تاريخيا وزمنيا، والكيفية التي تعمل بها هذه الظواهر وإمكانية توظيفها لخدمة الإنسان. ومما لا شك فيه أن كافة هذه العوامل _اي الظواهر – عرضة للتغير والتطور سواء تم ذلك بصورة تدريجية أو اتخذ شكلا جذريا أو ثوريا.

وتعتبر التغيرات والمتغيرات التي تطرأ على المحيط الحيوي للإنسان من أهم الظواهر المؤثرة والمنشطة معا للدوافع الإبداعية لدى الفنان وتوجيه طاقاته وإنتاجه الفني". (محمد عبد العال، 1994، ص.ص 175 - 176)

ومن هنا تتفق الباحثة مع الرأي السابق وتجد انه من الضروري الوعي بالمعطيات التي توفرها البيئة المحيطة بالفنان الكويتي والتحكم في الظواهر الإنسانية والاجتماعية والبيئية، تاريخيا وزمنيا، وكيفية العمل بهذه الظواهر وانتقاء الصالح منها، وتوظيفها لخدمة الفنان بما يضمن له التعبير عن فنه بشكل يجمع بين المعاصرة والحفاظ على الهوية.

حيث " أن تأكيد الهوية الوطنية أمر يفرض نفسه في الوقت الراهن باعتباره عاملا مهما في حياة الشعوب والعلاقات الدولية على حد سواء والهوية الوطنية عامل تحرير الأمم في المقام الأول، ومن ثم تبدو مبررا لحركات الاستقلال، ويستند الناس في كل مكان الى حقهم في التمتع بثقافتهم الخاصة باعتباره حقا من حقوق الانسان فالتنمية الذاتية للشعوب يجب ان تأخذ تماما في اعتبارها القيم الثقافية الأصلية لهذه الشعوب". (ايمان عز العرب، 2000، ص. 17)

"فقد أصبح العالم قرية صغيرة في ظل انتشار وسائل الاتصال الجماهيري التي تتخطى الحدود السياسية والدولية، فيجب تحرى الدقة في اختيار المواد الوافدة من الغرب مع الاعتراف بأن تدعيم الهوية الوطنية والثقافية ينبغي ان يقترن بالانفتاح الثقافي للاعتبارات التالية:

- الاحتكاك بالثقافات الأخرى يفتح المجال أمام التنوع في المصادر الثقافية والفكرية مما يعنى إثراء الثقافة الوطنية.
- القصور الذي تعاني منه الدول النامية في المجالات العلمية والتكنولوجية يمكن سده بل وإتاحة الفرصة للتفوق في المجال العلمي والتكنولوجي بالنقل والاقتباس والترجمة من ثقافات اخرى، على ان يتم الربط بين المواد العلمية المترجمة والبيئة". (ايمان عز العرب، 2000، ص. 16)

ومما سبق يتضح ان الانفتاح الثقافي على العالم الخارجي ليس بالشيء السيء، حيث انه يفتح المجال أمام التنوع في المصادر الثقافية والفكرية، ولكن يجب ان يتم ذلك من خلال نقل واقتباس واعى يربط بينة وبين بيئة شعوبنا العربية ولاسيما الكويت.

(ثانيًا) مظاهر التغريب الثقافي:

تعددت مظاهر التغريب في أرجاء العالم العربي، وكانت هذه المظاهر منها ما يتعلق بالعمل الاجتماعي التطوعي، ومنها ما يتعلق بالعمل الإعلامي الثقافي، ومنها ما يتعلق بالعمل السياسي، وتحدد (زينب على محمد، 2013، ص. 49) **مظاهر التغريب الثقافي** فيما يلي:

- ضعف الاهتمام بكل ما هو عربي، مما يبعد المواطن عن جذوره القافية.
- الابتعاد عن كل ما هو أصيل وثابت في الثقافة الوطنية، والتمسح بمبدأ المعاصرة، ومفاهيم التحديث للارتماء في أحضان الثقافة الغربية.
- الانبهار بكل ما هو أجنبي من عادات وتقاليد وآداب وفنون وسلوكيات، ومحاولة الاندماج والانخراط في تلك المجتمعات، أو على

الأقل تقليدا مع عدم التفكير في مدى مناسبة تلك الثقافة لثقافة المجتمع المحلى ومدى تقبله لها.

ومما سبق تستنتج الباحثة وجوب التصدي لهذه لمظاهر التغريب من خلال خطة توعوية تستهدف نشر مختلف جوانب الثقافة والتراث الكويتي في الفن والأدب والعلم حتى يتعرف الجميع ولاسيما شباب الفنانين على عظمة هذا التراث، بالإضافة الى تقديم الرموز العربية العظيمة في مجال الفن التشكيلي مثل الرواد أو الفنانين الكويتيين المعاصرين أصحاب البصمة الفنية الواضحة ليتم التفاعل معها، بالإضافة الى تنظيم فعاليات فنية في شكل (معارض فنية) تسهم فيها مختلف الدول العربية كل بما هو ميسر لديها، بحيث تعالج أعمالها موضوعات ذات طابع وطني.

فعندما نقوم بوضع تعريف للفن نقول ان "الفن هو التعبير عن معنى او حقيقة شيء ما من خلال التشكيل الجمالي في صورة متعينة". (سعيد توفيق، 2017، ص. 21)

وبالتالي فان ما يقدمه الفن يرجع الى في بدايته حين "تشكلت الهويات الثقافية الأوربية مع بداية الحداثة منذ النهضة في القرن السادس عشر، وفى الحداثة ثمة اختلاف بين فلاسفة النظريات العالمية والنظريات التاريخية في تصور التاريخ والهوية الثقافية. ترى النظريات العالمية التاريخ أحادي السلالة لا تهتم بالخصوصيات التاريخية وتقبل بشكل عادى معنى الهوية الثقافية كعملية بناء وإعادة بناء لا يمكن ردها الى جوهر او ماهية، وعند الاتجاه التاريخي تكون المفارقة ان التأكيد على الخصوصيات التاريخية يؤدى بالنظريات التاريخية الى تصور الهوية الثقافية بشكل لا تاريخي، أي تصور الهوية الثقافية بوصفها جوهرا او ماهية او روحا ثابته، وعلى هذا تكون الاختلافات التاريخية بين الشعوب والامم غير ممكن قنطرتها. ومع الحداثة أصبح الموجود الإنساني مركز العالم ومعيارا لجميع الأشياء وأساسا لكل معرفة، ولكنه ذات مجرده فردية عارية من التغير وبعده الاجتماعي". (فريال حسن خليفة، 2002، ص.ص 24 - 25)

وهناك عدد من تصورات الهوية الشخصية عند فلاسفة الحداثة بدءا من (الأنا يفكر) عند ديكارت، صورة مجردة جوهرية للهوية حتى يصل إلى نقد هيوم وماركس وفلاسفة ما بعد الحداثة للصورة الجوهرية للهوية الشخصية، وان كان لا ينكر الجوهر الإنساني إلا انه يغير طبيعته الى جملة علاقات اجتماعية في حين ان هيوم يثير الشك في وجود مثل هذا الجوهر وينكره على الإطلاق، لهذا يعتبر هيوم مقدمه أساسية في تفتيت الهوية يمهد لنيتشه وفلاسفة ما بعد الحداثة ويعتبر ان الهوية الشخصية وهما من الخيال لا يتفق مع معنى التغير في الزمان. فالهوية فيما بعد الحداثة تنقصها الذات المستقلة المتماسكة المتكاملة ينقصها الوحدة، فلا هي ذات ثابتة ولا هوية دائمة". (فريال حسن خليفة، 2002، ص.ص 25 - 26)

(ثالثًا) وسائل التغريب:

اتخذ التغريب لتحقيق أهدافه عدة وسائل من أهمها: الاستشراق، الوطنية، إثارة العصبيات المذهبية والعرقية، التشكيك في الشريعة ومصادرها، العلمانية، محاربة اللغة العربية، تشويه التاريخ العربي ورجاله، نشر الأفكار والنظريات الغربية، الترويج للقيم الغربية بين المسلمين.

(رابعًا) أهم ملامح الهوية الثقافية:

1. الهوية الثقافية تمثل مجموعة من الملامح الثقافية الخاصة بجماعة واحدة من البشر، بما يميزها عن غيرها من الجماعات.
2. الهوية الثقافية هي علاقة قوية بين الثقافة والهوية. فالهوية الثقافية جزء عضوي من فكرة الثقافة، والثقافة هي التي تشكل الهوية، وهي التي تعطى الاسم والمعنى والصورة، أي هي التي تجعل جماعة ما مميزة أو مختلفة عن الجماعات الأخرى.
3. الهوية الثقافية ذات طابع (ديناميكي) فهي ليست ثابته أو أبدية، ولكنها تشهد عمليات تحول وتغير عبر الزمان نتيجة تحولات عديدة.
4. الهوية الثقافية تقوم على الانتقاء والتقويم، يتم بواسطتها انتقاء قيم قومية واستبعاد أخرى من قبل الجماعة ومؤسسات التنشئة الاجتماعية، فالهويات الثقافية تبنى على اختيار ما ينفع أو يصلح للجماعة، وممارسات الشعب وعاداته الثقافية المتنوعة، المعقدة، والمتزايدة.
5. الهوية الثقافية تقوم بوظيفتين تبدو كما لو كانتا متناقضتين، الاولى تعمل على توضيح وإظهار المشترك بين الأمة من قيم والعادات والسلوك والمعايير، والثانية تظهر الاختلاف والتميز وتوضحه كنوع من المقاومة حينما تواجه أي نوع من انواع الاستعمار او الغزو الثقافي، او تهديد الهوية.
6. الهوية الثقافية تحوى الثقافات الفرعية التي تؤثر في الهوية الثقافية للمجتمع، سواء ثقافات الصفوة، او ثقافات إقليمية أو طبقية.
7. الهوية الثقافية ليست أحادية البنية، بمعنى أنها تتكون من مجموعة من العناصر، وعدد من المقومات في كل مجالات الحياة الفكرية والفنية والاجتماعية والروحية.
8. الهوية الثقافية يتم استحضارها أثناء النزاعات والصراعات والازمات وليس فقط في اوقات الرخاء والسلم. (عبد الرحمن بن عبد الله، 2020، ص.ص 165- 166)

(خامسًا) مقومات الهوية الكويتية:

لم تكن مسألة الهوية مطروحة قديمًا في الفن التشكيلي الكويتي، فأغلب الأعمال التصويرية لم تتطرق إلى موضوعات الغرب، دليل على تحضر وتماسك الكويتيين المبنى على المقومات الخاصة بها، من دين إسلامي ولغة عربية وتاريخ وعادات وتقاليد متنوعة، وتراث ثقافي، غير أن التغريب والعولمة ومنذ دخولهما أرض الوطن حاولا وبكل قوة محو الهوية التاريخية والثقافية للشعب الكويتي.

(سادسًا) سبل مواجهة التغريب:

1. نشر الوعي بالتراث الفني الكويتي.
2. ضرورة التمسك بالموروثات والعادات والتقاليد والقيم العربية.
3. التعريف بالموروثات الثقافية وأهمية الفنون والحضارة العربية.
4. تأمين الوسائل الإعلامية المبينة على غرث التراث الوطني في أجيال المستقبل.
5. إنشاء المؤسسات والمراكز العلمية والثقافية الوسطية التي تساعد على نشر الوعي الثقافي الفني.
6. إصلاح المناهج التعليمية وتطويرها وضرورة تضمينها تراثنا الفني وحث الطلاب على أهميته.
7. الرد على أفكار التغريب ردًا علميًّا عقليًّا.

وفيما يلي ستتناول الباحثة بالدراسة والتحليل إلى عينة من أعمال شباب المصورين التشكيليين الكويتيين، من خلال عدد من المعارض الدورية والمهرجانات التي ترصد واقع الفن التشكيلي وترصد أبعاده الفنية والفكرية، وسوف تتعرض إلى هذه الأعمال من خلال محورين:

- **المحور الأول** : نماذج لبعض أعمال شباب التصوير التشكيلي الكويتي تعكس تأثرهم بالغرب.
- **المحور الثاني:** نماذج لبعض أعمال شباب التصوير التشكيلي الكويتي يتضح بها مدى تمسك الفنان الكويتي بالتراث وتؤكد حرصه على الاحتفاظ بالهوية.

نماذج لبعض أعمال شباب التصوير التشكيلي الكويتي تعكس تأثرهم بالغرب

شكل (1) زهرة العلي، الهوية، وسائط مختلطة
المصدر: معرض الكويت الاربعون للكتاب (2015): المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب. "دن" ، إكسبو.

توصيف العمل : العمل يصور بروفيل جانبي لفتاة تم تكراره بإضافة بعض الرموز الكتابية، والاثنان في وضع تراكب إحداهما يتصدر الأخر، بينما خلفية اللوحة ذات درجات داكنة من الأسود والرمادي الغامق، وهذه الخلفية منقوشة بسطور من الارقام الأجنبية بالأبيض وتشبه شاشة الحاسوب.

تحليل العمل : الاتجاه الفني المتبع في اللوحة والمنبثق من تأثر الفنانة بالتكنولوجيا المتمثلة في لغة الحاسوب والبرمجيات، فوجه الفتاة الثابت ذو النظرة المتطلعة يؤكد على فكرة الارتباط بكل ما هو جديد، وقد ساهم التراكب الموجود في تأكيد الاحساس بالعمق الفراغي الذى يوحى بالتجسيم داخل شاشة حاسوب مليئة بالأرقام الأجنبية شديدة الوضوح حيث التباين اللوني بين الأبيض والأسود كنوع من تأكيد فكرة العمل.

شكل (2) أحمد مقيم، موليير، زيت على قماش
المصدر: معرض الكويت الاربعون للكتاب (2015): المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب. "دن" ، إكسبو.

توصيف العمل : العمل يصور شكل شخص من العصور الوسطى جالس ليقرأ في كتاب صغير، وتتضح سمات هذا العصر من خلال مظهر الشعر او الملابس، وفى الخلفية نجد ساعة حائط مثبتة على توقيت محدد، بينما جاءت الألوان في العمل داكنة تؤكد على إظهار مصدر الضوء وتأثيره على مفردات التكوين.

تحليل العمل: الاتجاه الفني المتبع في اللوحة يعكس مدى تأثر الفنان بفنون العصور الوسطى، ولم يقتصر تأثر الفنان على الناحية الشكلية فقط إنما أيضا اتبع نفس قواعد الضوء والظل وانعكاسها على مفردات العمل، حيث لجئ الى تحديد مصدر ضوء ضعيف وواحد، هذا المصدر هو الذي تحكم في توزيع الظلال على المفردات لتحقيق التجسيم لها، كما استعان بساعة الحائط كرمز يشير الى توقف الزمن عند ذلك العصر، كما جاءت ملامح الشخص غريبة تتشابه مع شخوص تلك الحقبة الزمنية وذلك بغرض سيادة الفكرة وتحقيق الوحدة للموضوع.

شكل (3) مها المنصور، الرقابة، وسائط مختلطة
المصدر: معرض الكويت الاربعون للكتاب (2015): المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب. "دن" ، إكسبو.

توصيف العمل : العمل منفذ بأسلوب الكولاج، حيث صاغت الفنانة عدد كبير من قصاصات الجرائد الأجنبية، أكسبتها بعض الظلال لتبدو كمجموعات كتب متراصة في صفوف، وبأكثر من مستوى، بالإضافة الى أجزاء من صور لوجوه فتيات تناثرت بين صفوف الكتب، ويتصدر المشهد برواز مربع من اللون الأحمر الداكن تتطاير بداخلة وحولة بعض الفراشات.

تحليل العمل: الاتجاه الفني المتبع في اللوحة يعكس مدى تأثر الفنانة بالثقافة الغربية، فتلك النافذة التي تتصدر المشهد ماهي إلا طاقة تنفتح على كل ما هو غربي، بحثا عن الحريات التي يضمنها هذا المجتمع وقد رمزت الى هذه الحريات من خلال الفراشات المتطايرة، بينما تمثلت الثقافات الأجنبية الواردة من خلال تلك القصاصات من الجرائد الأجنبية التي يتخللها عدد من الوجوه المتطلعة الباحثة عن الحرية، كما كان لاستخدام الأبيض والأسود في العمل والاقتصار عليهم إشارة الى الحيادية في كل ما تقدمة هذه الثقافات من أفكار ومبادئ كما يتصور الكثير.

شكل (4) شريفة دشتي
المصدر: معرض الشباب التشكيلي (2016): المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، معجب الدوسري.

توصيف العمل : يجمع بين رموز مدينة لندن الشهيرة، فهو يصور الأتوبيس المميز ذا الطابقين، وهو يجول في شوارع لندن خلفة ساعة بج بن الشهيرة وجزء من العمارة ذات الطراز الغربي.

تحليل العمل : الاتجاه الفني المتبع في اللوحة يعكس مدى تأثر الفنانة بشوارع لندن، حيث مثلت رموزها الأشهر في عمل واحد، وربما الاقتصار على استخدام درجات الأبيض والأسود في الخلفية ساهم في تحقيق وحدة العمل وتأكيد فكرته التي تعتبر إشارة واضحة تلفت النظر الى رموز لندن، دعمه التوافق اللوني الناتج عن استخدام اللون الأحمر مع درجات الأبيض والأسود مؤكدة على تحقيق السيادة في العمل بما يضمن زيادة توجيه المتلقي الى الرموز المستخدمة.

شكل (5) محمد الكندري، احياء حلم، زيت، 100× 120 سم
المصدر: معرض القرين الشامل للفنون التشكيلية التاسع عشر (2013): المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، قاعتي الفنون وأحمد العدواني.

توصيف العمل : العمل يصور فتاة ترتدى قبعة ذات طراز غربي، وتجلس وسط حديقة مليئة بالخضرة، بينما يظهر بالجانب الأيمن صنبور مياه تدفق منه أوراق اللعب التي تظهر متناثرة ومتطايرة في السماء، بينما نلحظ في الخلفية عدد كبير من المناطيد ذات الألوان المبهجة بدت بأحجام متباينة لتظهر وهى تتطاير على أبعاد مختلفة لتملئ السماء خلف الفتاة.

تحليل العمل: الاتجاه الفني المتبع في اللوحة يعكس مدى تأثر الفنان بشكل الفتاة المتطلعة الى حياة الغرب بكل ما تحويه من وسائل ترفيه هي دخيلة على مجتمعنا العربي، وقد أستخدم مجموعة لونية متعددة تؤكد مدى الانبهار بهذا العالم الوافد الي مجتمعنا، كما أستغل الرمز المتمثل في صنبور المياه ليوضح رسالة العمل التي تشير الى المزاوجة بين الخير المتدفق منه ليروي وينمى، وبين الجانب السلبي الناتج عن الانبهار بوسائل الترفيه التي تحيد بمجتمعنا عن أصوله.

نماذج لبعض أعمال شباب التصوير التشكيلي الكويتي يتضح بها مدى تمسك الفنان الكويتي بالتراث وتؤكد حرصه على الاحتفاظ بالهوية

شكل (6) نواف الحملي، القناص، زيت، 100× 120 سم
المصدر: معرض القرين الشامل للفنون التشكيلية التاسع عشر (2013): المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، قاعتي الفنون وأحمد العدواني.

توصيف العمل : يصور المشهد رجل قناص بلا ملامح وجه، يظهر بالملابس التراثية لدولة الكويت، يحمل على أحد يديه طائر جارح، بينما يحوط بيده الأخرى على كلب الحراسة، ويظهر محلقا في السماء فوق مشهد للصحراء بها خيمة وسلاح ومجموعة من حيوانات الصيد المختلفة.

تحليل العمل: الاتجاه الفني المتبع في اللوحة يعكس مدى تأثر الفنان بالتراث الكويتي، فسيادة موضوع العمل تشير الى الصيد والقنص وهى من أهم الأعمال التي يقوم بها الرجال في الكويت، كما ان حرص الفنان على تصوير الرجل بالملابس التراثية الكويتية الخاصة بالصيد يرمز الى تأصيل الهوية، بينما جاء شكل الرجل بلا ملامح في إشارة الى كل رجل يعيش بالكويت وما ينبغي عليه القيام به من الاحتفاظ بهويته وتراثه في مواجهة ثقافات التغريب وتياراته الحديثة.

شكل (7) ياسين زيدان الزيدان، الفن البحري، زيت
المصدر: مهرجان الشباب التشكيلي الرابع (2013): المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، قاعتي الفنون وأحمد العدواني.

توصيف العمل : العمل عبارة عن تكوين يضم مجموعة من الآلات الموسيقية التراثية بدولة الكويت، وهى متراصة في تكوين هرمى، فوق سطح سفينة من سفن الغوص التي اشتهرت بها دولة الكويت.

تحليل العمل: الاتجاه الفني المتبع في اللوحة يعكس مدى تأثر الفنان بفنون التراث الكويتي حيث كان هناك دائما فريق موسيقى يصاحب سفن الصيد للترويح عن طاقم السفينة، وقد أستخدم الفنان تباين قوى بين الظل والنور ليؤكد على طبيعة الجو في الكويت حيث الشمس الساطعة وارتفاع درجات الحرارة، وقد أستخدم الألوان ملتزما بالتراث الكويتي القديم في زخرفة وتزين تلك الآلات الموسيقية.

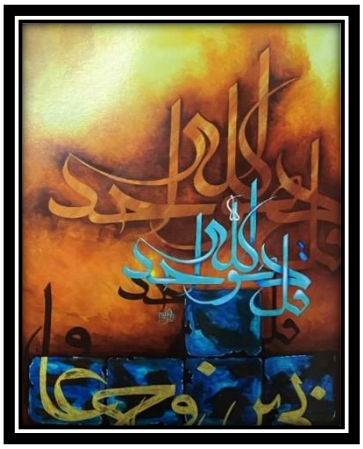

شكل (8) فاضل الرئيس، قل هو الله أحد، زيت، 100× 75 سم
المصدر: معرض القرين الشامل للفنون التشكيلية التاسع عشر (2013): المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، قاعتي الفنون وأحمد العدواني.

توصيف العمل : العمل ينتمى الى الحروفية، حيث كتبت قل هو الله احد بشكل زخرفي باللون الأزرق الفاتح، وتم تكرارها في الخلفية بدرجات متباينة من الالوان الساخنة، اما اسفل العمل فنجد عدد من المربعات مكتوب عليها بعض الحروف.

تحيل العمل: الاتجاه الفني المتبع في اللوحة يعكس مدى تأثر الفنان بالخط العربي، الى جانب ارتباطه بالوازع الديني حيث قام بكتابة قل هو الله أحد وتكرارها في الخلفية، وقد مزج بين الألوان الساخنة والباردة في توافق متميز، كما كان لسيادة مساحات الألوان الساخنة دور في تحقيق جو روحاني يشع بالدفء وتوهج المشاعر.

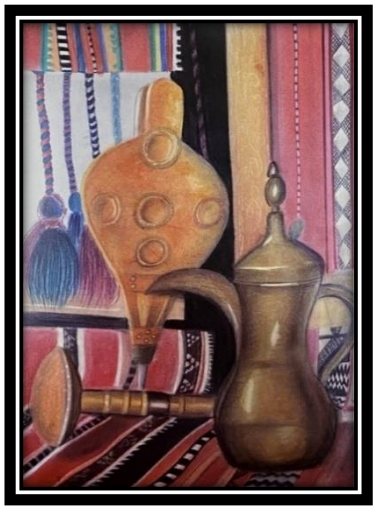

شكل (9) مريم الديحاني، التراث، باستيل
المصدر: مهرجان الشباب التشكيلي الرابع (2013): المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، قاعتي الفنون وأحمد العدواني.

توصيف العمل : العمل يصور تكوين من الطبيعة الصامتة، يتكون من دالة القهوة ومنفاخ الهواء لإشعال النيران وكل هذا على خلفية من نسيج السدو .

تحليل العمل: الاتجاه الفني المتبع في اللوحة يعكس مدى تأثر الفنانة بالتراث الكويتي المتمثل في الجلسات العربية التي كانت تضم عادات شرب القهوة في "بيت الشعر" تلك الخيمة التي كانت تصنع من نسيج السدو الكويتي.

شكل (10) مي السعد، ارثا، وسائط مختلطة
المصدر: معرض الكويت الاربعون للكتاب (2015): المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب. "دن" ، إكسبو.

توصيف العمل : العمل يتبع أسلوب دمج الوسائط المختلطة، حيث جمعت الفنانة بين قطعة من النسيج المنقوش بالنقوش ذات الطابع العربي وضعت في خلفية العمل على هيئة شريط من الزخارف يتصدره رجل ممسكا للسلاح ويرتدى ملابس الكويت التراثية، بينما نلحظ مجموعة من الطيور المرفرفة اعلى اللوحة بالجانب الايسر منها.

تحليل العمل: الاتجاه الفني المتبع في اللوحة يعكس مدى تأثر الفنان بمفردات تشكيلية تحمل الطابع التراثي الكويتي، فنلحظ سيادة الفكرة حيث ان جميع المفردات تحمل صبغة تراثية أصيلة، بينما جاءت الألوان مزيج بين الساخن والبارد لتحقيق نوع من التوافق، اما النقوش المتواجدة في النسيج المضاف ساهمت في تحقيق إيقاع متناغم والذي أكدته أيضًا تكرار حركات الطيور بالجوار.

نتائج البحث:

تشير نتائج هذا البحث إلى أن التغريب له جوانب إيجابية وأخرى سلبية، وعدم تناوله بحنكة قد يطمس هوية تراثنا العربي، ويتضح ذلك من خلال التغير الثقافي لمفهوم معالجة لوحات

التصوير التشكيلي المعاصرة بدولة الكويت وانعكاس الثقافة الغربية في الموضوعات التي يتم تناولها في هذه اللوحات، مما يؤكد صحة فرض وهدف البحث من خلال تأثر الهوية الكويتية في أعمال التصوير التشكيلي المعاصر بالثقافة الفنية الغربية.

التوصيات:

1. الاستفادة من الغرب والمعاصرة في ظل الحفاظ على التراث.
2. نشر الثقافة الفنية التراثية واستعادة الوعي بضرورة التمسك بالهوية الأصيلة لتحصين شبابنا من الاستلاب الفكري الناتج عن التغريب وغيره من التحديات الفكرية التي تواجه الدول العربية.
3. تنشئة الأجيال القادمة على أساس ثقافتنا التراثية القديمة، وتتغلل هذه الثقافة في جميع مناحي الحياة.
4. إجراء المزيد من البحوث والدراسات العلمية الثقافية التي تبين حقيقة تلك التيارات المعادية وإبراز مخططاتها وسبل مواجهتها.
5. وسائل التغريب متعددة وتحتاج إلى سبل لمواجهتها من خلال نشر الوعي بالعقيدة والتراث الثقافي والفني وإنشاء المؤسسات العلمية والثقافية الوسطية، وإصلاح المناهج التعليمية وتطويرها، والرد على أفكار التغريب ردًا علميًّا عقليًّا.

المراجع

المراجع العربية:

1. ايمان عز العرب (2000): الإعلام والهوية الوطنية، طنطا، دار المصطفى للنشر والتوزيع.
2. - خلدون حماده (1985): "دراسة في تاريخ التغريب في منطقة الشرق الأوسط"، مجلة الإتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، ع 41.
3. - زينب على محمد على (2013): الهوية الثقافية ومسرح الطفل، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
4. - سعيد توفيق (2017): تأويل الفن والدين، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1.
5. - عبد الرحمن بن عبد الله العبد القادر (2020): الصورة الذهنية وعلاقتها بالاتصال الثقافي، السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر.
6. - عبد العزيز بن عثمان التويجري (2015): "الهوية والعولمة من منظور التنوّع الثقافي"، المملكة المغربية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ط.2.
7. - عبيدة صبطي، عادل قايد (2017): "الصورة الفنية ودورها في بناء الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري ـ قراءة سيميولوجية لصورة الفنان دينية"، ع (29)، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر.
8. - فريال حسن خليفة (2002): الإيديولوجيا والهوية الثقافية، القاهرة، مكتبة مدبولي.
9. - محسن عطية (د.ت): الفن والحياة الاجتماعية، دار المعارف، القاهرة.
10. - محمد عبد العال عبد السلام (1994): "أثر البيئة والثقافة على رؤية الفنان في مجال الطبعة الفنية"، مؤتمر الفن والبيئة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.
11. - محمد عزيز نظمي (د.ت): علم الجمال الاجتماعي (دار المعارف، القاهرة) ص5.
12. - محمد محمد حسين (1399هـ): أزمة العصر، ط (1)، دار عكاظ، السعودية.
13. - ..... (1413هـ): الإسلام والحضارة الغربية، ط (9)، دار الرسالة، السعودية.

المعارض والمهرجانات الفنية:

14. - معرض الشباب التشكيلي (2016): المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، معجب الدوسري.
15. - معرض القرين الشامل للفنون التشكيلية التاسع عشر (2013): المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، قاعتي الفنون وأحمد العدواني.
16. - معرض الكويت الاربعون للكتاب (2015): المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب. "دن"، إكسبو.
17. - مهرجان الشباب التشكيلي الرابع (2013): المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، قاعتي الفنون وأحمد العدواني.